القضية الفلسطينية في مناهج التربية والتعليم القَطَرية

محمد صالح المسفر(*)
كاتب وباحث من قطر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة قطر.

ميسر حسن سليمان(**)
محاضرة في قسم الشؤون الدولية، جامعة قطر.

أولًا: لمحة تاريخية ونشأة التعليم في قطر

أطل القرن العشرون على منطقة الخليج العربي وقد أصبحت بريطانيا هي القوة المهيمنة فيه، وذلك بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى. ونتيجةً لذلك، عقدت بريطانيا اتفاقيات ومعاهدات غير متكافئة مع حكام مشيخات الخليج، وسلبت منهم استقلالهم وسيادتهم، وأحلّت مندوبيها حكامًا فعليين في هذه المشيخات.

لم يكن همّ بريطانيا في منطقة الخليج العربي ترقية شعوبها أو الاهتمام بتعليمهم، إذ لم تشيّد حتى قبل رحيلها من المنطقة في مطلع سبعينيات القرن الماضي مدرسةً في قطر، ولا مستشفىً يعتد به، ولم تهتم بتعبيد الطرق. بمعنى آخر، لم تهتم بالعمران في كل حقوله.

إن سياسة التعليم التي طبّقتها بريطانيا في مناطق أخرى من العالم، مثل الهند ومصر والسودان وفلسطين والعراق، كانت موجهة للنخبة لتخريج موظفين «كتبة» لخدمة إدارتها في مستعمراتها، بحيث لا تتعدى حاجاتها الاستعمارية مطلقًا[1]. ولعل ما يلاحَظ على الاستعمار البريطاني أنه استعمار تجهيل وإذلال ونهب خيرات الشعوب ومواردها وتوزيع جغرافي غير عادل وبذر الفتن فيما بين حكام تلك المناطق. أما الاستعمار الفرنسي ـ ولا أقصد الإشادة به هنا بالضرورة ـ فيتميّز بالبناء والتعليم وربط الدول المُستَعمَرة بفرنسا حتى بعد الرحيل عنها، كما هو حادث في أفريقيا ومناطق أخرى من العالم، وهو ما يُعرف بالفرنكوفونية.

(*) البريد الإلكتروني: almusfir@hotmail.com
(**) البريد الإلكتروني: myassar.95@hotmail.com

(1) كمال ناجي، **تاريخ التعليم الشعبي في قطر منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين** (الدوحة: لجنة تدوين تاريخ قطر، 1976)، ج 2، ص 507.

تهدف هذه الدراسة إلى عرض التطور التاريخي للتعليم في دولة قطر، بما في ذلك التعرف إلى مكانة القضية الفلسطينية في مراحل التعليم المختلفة. وهي تتبّع المنهج التاريخي الوصفي، الذي يعدّ منهجًا مناسبًا لطبيعتها، بحيث تُستعرض المواد التعليمية المقررة على طلبة التعليم العام والجامعي، وتقتبس نصوص تحقق الهدف من الدراسة وتبيّن غاياته.

لم يكن همّ بريطانيا في منطقة الخليج العربي ترقية شعوبها أو الاهتمام بتعليمهم، إذ لم تشيّد حتى قبل رحيلها من المنطقة في مطلع سبعينيات القرن الماضي مدرسةً في قطر، ولا مستشفىً يعتد به، ولم تهتم بتعبيد الطرق. بمعنى آخر، لم تهتم بالعمران في كل حقوله.

لم تعرف دولة قطر أي نظام من نظم التعليم قبل عام 1913 حقبة الحماية أو «النفوذ» البريطاني. وكان يسود التعليم في تلك المرحلة «الكُتّاب» غير النظامي، الذي اقتصر على تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي على يد أئمة المساجد، ومن يسمى «الفقيه»، أي المطوِّع. ثمّ أُسّست أول مدرسة بمبنى مستقل في تلك السنة (1913)، وقيل في عام 1915، وهي «المدرسة الأثرية» لتدريس علوم الدين، التي كانت تحظى برعايةٍ مباشرةٍ من الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني حاكم قطر آنذاك، حيث كلّف الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع بمهمات التعليم في البلاد. وفي عام 1947، افتُتحت أول مدرسة على أساس منهجي وسُميت «مدرسة الإصلاح الحمدية» نسبة إلى الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني. وفي عام 1950 ـ 1951 أُقر مبدأ التعليم الإلزامي للبنين ثم البنات عام 1954، وفي العام نفسه تأسست أول مدرسة للبنات، كما أُسست مدرسة إعدادية للبنات في عام 1968. وكانت وزارة المعارف قد تأسست في عام 1957. وفي عام 1973 أُسست كلية التربية للمعلمين والمعلمات، وكانت النواة الأولى لتأسيس جامعة قطر عام 1977[2].

افتُتحت أول مدرسة قامت على أساس تعليم منهجي حديث ومعاصر عام 1950/1951، وهي «مدرسة قطر الابتدائية». وفي العام نفسه، أصدر الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، حاكم قطر، قرارًا أميريًا بتأليف لجنة وطنية سُميت «لجنة المعارف». وتكونت اللجنة من: الشيخ ناصر بن خالد آل ثاني رئيسًا؛ الشيخ عبد الله بن تركي السبيعي عضوًا؛ قاسم درويش فخرو عضوًا؛ مبارك بن صالح الخليفي عضوًا؛ يوسف بن أحمد الجيدة عضوًا؛ وأضيف إلى اللجنة لاحقًا خالد الدجاني[3].

(2) محمد صالح المسفر وميسر مروان حسن سليمان، **دراسات خليجية: مراجعة في التاريخ والدولة والمجتمع** (الدوحة: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، 2022)، ص 426؛ أحمد مينسي، **التحول الديمقراطي في مجلس التعاون لدول الخليج العربية** (أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2009)، ص 40 ـ 41؛ يوسف محمد عبيدان، **نظم الحكم في دول الخليج العربي: دراسة مقارنة لقطر والبحرين والكويت** (أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة، قسم العلوم السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1982)، ص 288.

(3) ميرفت أمين الشبراوي، **تاريخ التعليم في قطر** (القاهرة: مركز الراية للنشر والإعلام، 2013)، ص 31.

في عام 1957، تسلّم الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني «رئاسة المعارف»، وفي إثر هذا التغيير في هرم السلطة المُكلّفة بالتعليم أُنهيت أعمال لجنة المعارف التي كان يرأسها الشيخ ناصر بن خالد آل ثاني، وألّف الشيخ خليفة بن حمد بن عبد الله آل ثاني، رحمه الله، لجنةً وطنيةً تعينه على النهوض بالتعليم في قطر. وفي عهده انتشر التعليم في أرجاء دولة قطر وأصبح حقًا لكل مواطنٍ ومقيم في البلاد. أما الخطوة الأخرى في هذا المجال فقد كانت تعليم البنات؛ إذ أُسّست مدارس حديثةً للبنات. ثمّ توسعت الحكومة في بناء المدارس في المدن والقرى واستُقدم مدرسون ومدرسات من عدة أقطار عربية.

اعتمدت حكومة قطر في بادئ الأمر المناهج والكتب المعتمدة في كلٍ من مصر والأردن والكويت والسعودية كمناهج وكتب للتعليم، فكانت أغلبية أعضاء هيئة التدريس في المدارس القطرية تأتي بموجب تعاقد من هذه البلدان وغيرها من البلدان العربية المجاورة. كان يجري ذلك في الوقت الذي كانت الحماية البريطانية لا تزال قائمة في منطقة الخليج العربي. جدير بالذكر أن بريطانيا كانت تحرص على جلب أيدي عاملة هندية ذات مهارات مختلفة، عالية ومتوسطة ومنخفضة، من مستعمراتها في الهند للعمل في بلدان الخليج العربي. وبهذا، لم تكن بريطانيا مرتاحة للخطوة التي اعتمدتها حكومة قطر والتي تمثلت باستقطاب أيدي عاملة عربية عالية المهارة للعمل في قطاع التعليم لسدّ الفجوة المتمثلة بنقص الكوادر المحلية ذات المهارات العالية في ذلك الوقت.

وعندما توسعت حكومة قطر في مجال التعليم، اقتضى الأمر تأسيس وزارة تقود المسؤولية التعليمية، فكانت وزارة المعارف التي تأسست عام 1957، وهي الوزارة الوحيدة في قطر في تلك الحقبة، وقد عُين الشيخ خليفة بن حمد بن عبد الله آل ثاني أول وزير للمعارف في البلاد.

بعد إعلان بريطانيا انسحابها من الخليج في أيلول/سبتمبر 1971، ومن ثمّ إعلان قطر استقلالها، ثمّ تولي الشيخ خليفة بن حمد بن عبد الله آل ثاني مقاليد الحكم عام 1972، شهد هذا العهد انتشار المدارس والمعاهد في البلاد، وتأسست جامعة قطر عام 1977، وازدادت القوى العاملة في المجال التعليمي، وتعددت المدارس، مثل معهد المعلمين، والمدرسة التجارية، والمعهد الديني، والمدرسة الصناعية. تغيّر اسم وزارة المعارف لتصبح وزارة التربية والتعليم ورعاية الشباب. وعام 1976 أُدخل تعديل على اسم وزارة التربية والتعليم عبر فصل رعاية الشباب عن الوزارة. وعام 1996، تغيّر اسم الوزارة ليصبح وزارة التربية والتعليم والثقافة. وفي عام 1998 أصبح اسم الوزارة الجديد وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي.

تزايد اهتمام قطر بالتعليم والثقافة عبر ارتباطها بالمنظمات الإقليمية والدولية ذات الشأن. ورغم الهيمنة البريطانية في تلك الحقبة، انضمت قطر عام 1958 إلى اتفاقية الوحدة الثقافية العربية تحت مظلة جامعة الدول العربية، وعام 1962، انضمت إلى منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونيسكو» بوصفها عضوًا منتسبًا، وفي عام 1972 أصبحت تتمتع بالعضوية الكاملة. وانضمت إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألیسكو» منذ إنشائها عام 1964، ووقعت اتفاقيات ثنائية مع معظم البلدان العربية. كما انضمت إلى مكتب التربية العربي

لدول الخليج العربية عام 1976. وفي عام 1982، انضمت إلى المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الإيسيسكو»[4].

ثانيًا: محاولات تطوير التعليم في قطر

كان الارتقاء بمستوى التعليم في قطر يمثل هاجسًا لدى القيادة السياسية منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، وقد بُذلت جهودٌ كبيرة من أجل إصلاح التعليم وتطويره ليتناسب وطموحات الدولة على جميع الصعد. ويروي عبد الله بن جمعة الكبيسي، رئيس جامعة قطر الأسبق، أن محاولات إصلاح التعليم في قطر مرت بأربع مراحل، هي:

المحاولة الأولى في عام 1990، إذ تعاقدت وزارة التربية والتعليم مع مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية لإجراء مراجعة وتقويم للنظام التعليمي.

المحاولة الثانية في عام 1996، إذ كلف أمير البلاد لجنةً مكونةً من تسعة أعضاء من داخل الدولة، مهمتها القيام بتقويم نظام التعليم وتطويره في إطار نظرة شاملة تتناول جميع مكوناته.

المحاولة الثالثة عام 1997، حيث استعانت الدولة ببرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) والمكتب الإقليمي لليونيسكو في قطر، وقدمت تقريرًا بعنوان «التعليم في قطر: الكم والكيف» واقترحت استراتيجية لتطوير التعليم العام[5].

المحاولة الرابعة عام 2001، بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اجتاح العالم الغربي وأمريكا بالذات رعبٌ من هول الحادثة؛ وهو ما دفع الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن إلى القول علانية «إنها حرب صليبية»[6].

بعد هذه الأحداث، وبعد غزو أفغانستان كردّ فعل عليها، عملت مراكز البحث العلمي في الولايات المتحدة الأمريكية بجدٍ لدراسة هذه الظاهرة والبحث عن حلول لها. فكانت نتائج الدراسات البحثية تشير إلى أن مناهج التعليم في الوطن العربي تعد سببًا في هذه الظاهرة. وفي إثر ذلك، قامت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس بالدعوة إلى ضرورة تغيير العقل العربي «عن طريق إعادة النظر في مناهج التعليم وفرض رقابة على ثقافة المساجد»[7]. لم تكن الدعوة إلى تغيير العقل وليدة الساعة، بل إن جذورها تعود إلى الاستعمار البريطاني عندما دعا اللورد توماس

---

(4) المصدر نفسه، ص 34.

(5) عبد الله بن جمعة الكبيسي، «التعليم العام والتعليم العالي في دولة قطر،» ورقة عمل قدمت إلى منتدى التنمية الخليجي عام 2011. لمزيد من التفصيل، انظر: غازي الرشيدي، **المدارس المستقلة في دولة قطر: رؤية من الداخل** (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2015)، ص 23 ـ 30.

(6) «بوش يستخدم مجددًا تعبير «حرب صليبية»،» العربية نت، 19 نيسان/أبريل 2004، <https://tinyurl.com/mr2a79ey> (شوهد بتاريخ 15 نيسان/أبريل 2024).

(7) فيصل القاسم، «تغيير مناهج التعليم العربية والإسلامية،» برنامج الاتجاه المعاكس، قناة الجزيرة، 15 تشرين الأول/أكتوبر 2002.

ماكولي (1800 ـ 1859) في خطاب أمام البرلمان البريطاني إلى أنه: «لن نستطيع إخضاع أمة لإرادتنا إلا بتكسير عظام عمودها الفقري التي هي لغته وثقافته وتراثه الروحي»[8].

انطلاقًا من هذا التنظير، راحت الولايات المتحدة تمارس ضغوطًا على الدول العربية بعامة، والخليجية بخاصة، من أجل إجراء تعديلات على مناهج التعليم. وانتشرت المؤسسات الأمريكية المتخصصة في شؤون التعليم في منطقة الخليج العربي، فكان نصيب قطر من هذه المؤسسات هي مؤسسة «راند»، المتخصِّصة في الشؤون الأمنية والعسكرية لا في مجال التعليم، لكنها تعاقدت مع الدولة لإصلاح التعليم ومؤسسات أخرى، وأعطيت كامل الصلاحيات في هذا المجال. وكان مشروعها لإصلاح التعليم العام يتمثل بالآتي:

ـ الابتعاد من وزارة التربية والتعليم، لأنها ـ في نظر راند ـ غير مؤهلة لقيادة متطلبات الإصلاح التربوي المرغوب فيه، لكونها تتصف بخبرات تاريخية يغلب عليها الطابع البيروقراطي.

ـ نظام المدرسة التعاقدية (Charter School) الذي أطلق عليه مسمى «المدرسة المستقلة».

ـ نظام الكوبونات (Voucher School)، بمعنى إعطاء ولي الأمر كوبونًا بتحمّل مصاريف أبنائه الدراسية، بما يمكنه من إلحاق أبنائه بأي مدرسة يشاء.

وقد وقع الاختيار على اعتماد نظام المدرسة المستقلة، لأنه يجمع بين مسؤولية الدولة في تحمّل الأعباء المالية التعليمية وتمتّع المدرسة باستقلالية مطلقة في إدارة شؤونها التعليمية والإدارية[9]. وقد استمر مشروع راند من عام 2001 حتى عام 2011.

تضمنت عملية تطوير التعليم في قطر استحداث ثلاث هيئات حكومية جديدة، هي:

ـ المجلس الأعلى للتعليم، وهو المسؤول عن صوغ سياسة التعليم الوطنية.

ـ هيئة التعليم، وأُسندت إليها مهمة الإشراف على المدارس المستقلة، وتحديد مخصصاتها، إضافة إلى تحديد منهاج المعيار الوطني في اللغة العربية والرياضيات والعلوم واللغة الإنكليزية ووضع برنامج تدريبي لأعضاء هيئة التدريس.

ـ هيئة التقييم: مهمتها مراقبة أداء الطلاب والمدارس الخاصة والحكومية على حد سواء.

لم تكن بريطانيا مرتاحة للخطوة التي اعتمدتها حكومة قطر والتي تمثلت باستقطاب أيدي عاملة عربية عالية المهارة للعمل في قطاع التعليم لسدّ الفجوة المتمثلة بنقص الكوادر المحلية ذات المهارات العالية في ذلك الوقت.

واقترحت مؤسسة راند خصائص جديدة لنظام التعليم في قطر، هي:

ـ استقلالية المدارس.

ـ التنوع في مناهج التعليم.

---

(8) إسراء المعتوق، في: جريدة **الوطن** (الكويت)، 2010/11/17.

(9) الرشيدي، **المدارس المستقلة في دولة قطر: رؤية من الداخل**، ص 33.

ـ توفير خيارات لأولياء أمور الطلاب[10].

وفي ما يتعلق بالمواد التعليمية المعتمدة، كان مشروع راند يركز على 4 مواد فقط هي الرياضيات والعلوم والفيزياء واللغة الإنكليزية. وقد أخذت هذه المواد النصيب الأكبر من زمن الدراسة، وقد ترك لإدارة المدرسة (المقاول) اختيار بقية المواد. والملاحظ هنا غياب مواد العلوم الشرعية بفروعها المتعددة، واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا، وهي حجر الزاوية في ترسيخ الهوية الوطنية، وتُرك للمدرسة حرية التصرف في أمر هذه المواد المهمة.

راحت الولايات المتحدة تمارس ضغوطًا على الدول العربية بعامة، والخليجية بخاصة، من أجل إجراء تعديلات على مناهج التعليم. وانتشرت المؤسسات الأمريكية المتخصصة في شؤون التعليم في منطقة الخليج العربي، فكان نصيب قطر من هذه المؤسسات هي مؤسسة «راند»، المتخصِّصة في الشؤون الأمنية والعسكرية لا في مجال التعليم.

اعتمدت بعض المدارس تدريس تاريخ قطر واللغة العربية باختصار. أما لجهة تاريخ قطر فاكتفت بتاريخ تسلسل سلطة الحكم في البلاد. لم تضع المدارس للغة العربية منهجًا ولا كتابًا، وإنما اعتمدت على قصاصات من صحيفة أو مجلة أو غير ذلك. وكانت هذه هي الكارثة التي حلَّت بالعملية التعليمية وبمخرجاتها. وبقيت الحال على ذلك حتى أدرك المجتمع الأزمة الحقيقية منذ عام 2007، فراحت الجهات المختصة تعالج هذا الخلل. وبهذا، أُنهيَ عقد مؤسسة راند مع انتهاء مدته في عام 2011، وعادت المسيرة التعليمية إلى مسارها الصحيح، وهو اعتماد اللغة العربية كمادة تدريسية لكل مراحل التعليم العام والجامعي. ولاحقًا، ألزمت وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي عام 2019/2020 المدارس بتدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية والتاريخ بدءًا من مرحلة ما قبل المدرسة والروضة والتمهيدي في كل المدارس ورياض الأطفال الخاصة.

وجاء القرار الأميري الصادر عام 2021، الذي ينص على التزام جميع الجهات الحكومية وغير الحكومية بحماية اللغة العربية في الأنشطة والفعاليات كافة، والتزام الوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى والهيئات والمؤسسات التعليمية باستخدام اللغة العربية في كل محافلها.

ثالثًا: المسألة الفلسطينية في مناهج التعليم في قطر

حظيت القضية الفلسطينية في مناهج التعليم القطرية باهتمام خاص بموجب توجيهات سامية، إذ تناولتها مراحل التعليم العام الثلاث (الابتدائي والإعدادي والثانوي) إلى جانب المعاهد المختلفة التي تعمل تحت إدارة وزارة التربية والتعليم وكذلك التعليم الجامعي.

(10) وزارة التربية والتعليم العالي، المجلس الأعلى للتعليم، **التقرير الوطني لدولة قطر** (2008).

1 ـ مقرر اللغة العربية

في تعليم مادة اللغة العربية، يذكر نظمي حلمي الجمل، رئيس توجيه اللغة العربية سابقًا، أن منهج اللغة العربية المقرر على طلبة المراحل الثلاث في التعليم العام كان غنيًا بالموضوعات الأدبية عن فلسطين؛ سواء أكان شعرًا أم نثرًا. ويذكر في هذا السياق الكثير من الشعراء من فلسطين وأقطار عربية أخرى، ومنهم الشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) الذي وردت في قصيدته الأبيات التالية[11]:

يا جهادًا صفّق المجدُ له ... لَبِسَ الغارُ عليه الأرجوانا
شرفٌ بَاهَتْ فلسطينُ بهِ ... وبناءٌ للمعالي لا يُدَانَى
غذت الأحداث منا أنفسًا ... لم يزدها العنف إلا عنفوانا
إنما الحق الذي ماتوا له ... حقنا نمشي إليه أين كانا

ويذكر من شعراء فلسطين هارون هاشم رشيد:

إِنَّنَا لَعَائِدُونْ
عَائِدُونَ عَائِدُونَ ... إِنَّنَا لَعَائِدُونَ
فَالْحُدودُ لَنْ تَكُونْ ... وَالقِلاَعُ وَالحُصُونْ
فَاصْرُخُوا يَا نَازِحُونْ ... إِنَّنَا لَعَائِدُونْ
عَائِدُونَ لِلدِّيَارْ ... لِلسُّهُولِ لِلجِبَالْ
تَحْتَ أَعلامِ الفَخَار ... وَالجِهَادِ وَالنِّضَالْ
بِالدِّمَاء وَالْفِدَاء ... وَالإِخَاءِ وَالْوَفَاءْ
إِنَّنَا لَعَائِدُونْ
عَائِدُونَ يَا رُبَى ... عَائِدُونَ يَا هِضَابْ
عَائِدُونَ لِلصِّبَا ... عَائِدُونَ لِلشَّبَابْ
لِلجِهَادِ فِي النِّجَادْ ... وَالحَصَادِ فِي البِلاَدْ
إِنَّنَا لَعَائِدُونْ
يَا فِلَسْطِينُ ... دَعَا هَاتِفٌ إِلَى السِّلاَحْ
فَحَمَلْنَا المِدْفَعَا ... وَتَنَسَّمْنَا الرِّيَاحْ
لِلأَمَامْ لِلأَمَامْ ... بِالحُسَامِ وَالحِمَامْ
إِنَّنَا لَعَائِدُونْ

(11) وزارة التربية والتعليم العالي، **مقرر اللغة العربية، الصف الثامن، العام الدراسي 2016/2015**، ص 131.

ويذكر نظمي الجمل من شعراء فلسطين سميح القاسم ومحمود درويش. كما يذكر من شعراء الخليج مبارك بن سيف آل ثاني، وفهد العسكر، وصقر شبيب، وخليفة الوقيان، وحسن نعمة. لم تكتفِ مناهج اللغة العربية بذكر الشعراء والأدباء وبعض ما تغنّوا به من شعر، بل درست تراجم الأدباء والشعراء؛ فكانت لحياة إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي وفدوى طوقان ومحمود درويش مكانة في مادة اللغة العربية.

ويمكن أن نذكر بعضًا من قصائد الشاعر حسن نعمة عام 1967، عندما كان وكيلًا لمدرسة الدوحة الثانية، فقد نظم القصيدة التالية في ذكرى تقسيم فلسطين:

ذكـروك يـا وطـن الـفـدا والـثـأر ... فكتبت من ذوب الحشا أشعاري
ذكـروك لـي والـنـائـبـات نـوازل ... تـرمـيـك بـالـويـلات والأخـطـار
قد أخرس الخطب اللسان فلم أجد ... لـي مـا يعبّر غير الدمع الجاري
أذكيت بين جوانحي نار الأسى ... وقـرنـت بـالـليل الـطـويل نـهـاري
أسلمتني للذكريات وللضنى ... ولـلـوعـة مـشـبـوبـة وأوار
فـي قلب كل مناضل لك حسرة ... شـطـران بـيـن تـوجـع وسـعـار
وبكفه اليمنى مهيض فؤاده ... شـقـان مـكـسـور وآخـر واري
وطني وما قدر البيان وإن مشى ... فـيـه الـفـؤاد ومـا مـدى أشـعـاري
صف بوجه الغاصبين يشدّه ... عـزم الأبـاة ووحـدة الأحـرار
بك سوف تنبعث الحياة جديدة ... بـكرًا كفوحة الروضة المعطار

كما يرد في مقرر اللغة العربية للصف الخامس ابتدائي قصيدة للشاعر علي محمود طه[12]:

أَخِـي، جَـاوَزَ الـظَّـالِـمُونَ المَـدَى ... فَـحَـقَّ الـجِـهَـادُ، وَحَـقَّ الـفِـدَا
أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُونَ العُرُوبَـ ... ـةَ مَجْدَ الأُبُوَّةِ وَالسُّؤْدَدَا؟
وَلَيْسُوا بِغَيْرِ صَلِيلِ السُّيُوفِ ... يُجِيبُونَ صَوْتًا لَنَا أَوْ صَدَى
فَلَسْطِينُ يَفْدِي حِمَاكِ الشَّبَابُ ... وَجَلَّ الفِدَائِيُّ وَالمُفْتَدَى
فَلَسْطِينُ تَحْمِيكِ مِنَّا الصُّدُورُ ... فَإِمَّا الحَيَاةُ وَإِمَّا الرَّدَى

وفي مقرر اللغة العربية للصف الرابع الابتدائي (مرحلة التنشئة)، يرد في باب النشاط القرائي عَلَم فلسطين، وصورة للمسجد الأقصى؛ وعلى الطالب أن يتعرّف إلى الدولة صاحبة العلم، وما يعرفه عن تلك الدولة، وعليه أيضًا أن يتعرّف إلى المسجد الوارد في الصورة، وعليه التعرّف إلى قيمة هذا المسجد عند المسلمين. وترد في هذا الكتاب قصيدة بعنوان «سنعود» للشاعر عبد الكريم بن سعيد الكرمي، وأقتبس منها بعض الأبيات التالية[13]:

---

(12) المجلس الأعلى للتعليم، **اللغة العربية للصف الخامس الابتدائي، الفصل الدراسي الثاني، العام الدراسي 2014/2013**، ص 90.

(13) وزارة التعليم والتعليم العالي، **اللغة العربية، الصف الرابع الابتدائي، الفصل الثاني، العام الدراسي 2017/2016**، ص 65 ـ 66.

فلسطين الحبيبة كيف أغفو وفي عينيّ أطياف العذاب
تناديني السفوح مخضبات وفي الآفاق آثار الخضاب
غدًا سنعود والأجيال تصغي إلى وقع الخطى عند الإياب

لم يقف مقرر اللغة العربية في شأن القضية الفلسطينية عند النص الشعري، بل تعدّاه إلى تناول أدب القضية الفلسطينية والمسرح (مسرحية النسر وقلب الأسد القائد صلاح الدين). ويذكر أحمد إفرنجي، أحد أبرز أعضاء لجنة تأليف الكتب المدرسية في الوزارة في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، أن الشيخ جاسم بن حمد بن عبد الله آل ثاني، وزير المعارف آنذاك، أصدر أمرًا إلى جميع مدارس الدولة ومعاهدها بإحياء ذكرى يوم النكبة الموافق 15 أيار/مايو من كل عام، وأن تكون الحصة الأولى في كل المدارس والمعاهد القطرية مخصصة لشرح القضية الفلسطينية للطلاب، وتكثيف الأنشطة الطلابية في هذا المجال. وفي هذه المناسبة، يُشجَّع الطلاب على إلقاء كلمات عن فلسطين في الإذاعة المدرسية، وتُعرَض المسرحيات، وكان أشهرها مسرحية بعنوان «شعب لا يموت» التي تم عرضها على مسرح مدرسة الدوحة الثانوية، واشترك فيها أساتذة وطلاب، وشاع صيت تلك المسرحية في كثيرٍ من إمارات الخليج؛ وهو ما دعا الشيخ صقر القاسمي، حاكم إمارة رأس الخيمة، بتوجيه دعوة إلى أعضاء الفرقة المسرحية واستضافتهم، وطلب منهم عرض المسرحية في رأس الخيمة. وقد حضر الشيخ صقر هذه المسرحية وأشاد بهذا العمل الفني وباختيار موضوعه.

2 ـ مقرر العلوم الاجتماعية

حظيت القضية الفلسطينية في مناهج التعليم القطرية باهتمام خاص بموجب توجيهات سامية، إذ تناولتها مراحل التعليم العام الثلاث (الابتدائي والإعدادي والثانوي) إلى جانب المعاهد المختلفة التي تعمل تحت إدارة وزارة التربية والتعليم وكذلك التعليم الجامعي.

يتم تناول القضية الفلسطينية في مادة العلوم الاجتماعية، سواء كمادة منهجية دراسية أو كأنشطة لامنهجية، بحيث يتم توجيه الطلبة مثلًا إلى القيام بكتابة أبحاث علمية، وكتابة مقالات، وإثراء جرائد الحائط المدرسية بأخبار وصور عن فلسطين، وتقديم برامج الإذاعة المدرسية حول الموضوع، فضلًا عن أنشطة أخرى تقوم بها المدارس بعامة في إطار فعاليات الأسبوع الثقافي (ملتقى الشعوب).

في هذا الإطار، يتناول كتاب العلوم الاجتماعية لطلبة المستوى الثامن في الفصل الدراسي الثاني القضية الفلسطينية، كإحدى قضايا العالم الإسلامي. ويستفتح هذا الفصل بتعريف الطالب بهذه المسألة بالتالي: «منذ مطلع القرن العشرين والشعب الفلسطيني يعاني الظلم والعدوان واغتصاب أرضه وانتهاك حرمة مقدساته على يدي الكيان الصهيوني، وقد تطورت قضية الشعب الفلسطيني ـ بمرور الوقت ـ لتصبح قضية الأمتين العربية والإسلامية معًا»[14].

(14) وزارة التعليم والتعليم العالي، **كتاب العلوم الاجتماعية، الصف الثامن، الفصل الدراسي الثاني، العام الدراسي 2017/2016**، ص 88 ـ 89.

يقدم المقرر الدراسي فصلًا كاملًا عن أهمية فلسطين عربيًا وإسلاميًا، وظهور ثيودور هيرتزل كأحد أبرز زعماء الحركة الصهيونية، الذي سعى لإقامة وطن قومي لليهود. ويعرّف المقرر الدراسي الطلبة بالحركة الصهيونية، وأطماعها في فلسطين ومقاومة الدولة العثمانية بقيادة السلطان عبد الحميد لهذا المشروع، على الرغم من كل الإغراءات المالية التي عُرضت عليه. كما يتناول المقرر دور بريطانيا في تأسيس الدولة اليهودية خلال السنوات 1916 ـ 1939[15].

يعرض المقرر «وعد بلفور» الذي أصدره آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك، في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1917، الذي نصّ على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. كما يعرض كيف واجه العرب هذا الوعد. ويتناول الثورة الفلسطينية الكبرى 1936 ـ 1939 ضد تزايد الوجود اليهودي في فلسطين، وكذلك قرار تقسيم فلسطين الذي أقرته الأمم المتحدة عام 1947، ثمّ تطور الصراع العربي ـ الإسرائيلي بعد عام 1948. إن هذا المقرر يتناول القضية الفلسطينية منذ بداية المشروع الصهيوني عام 1897 وحتى تاريخنا المعاصر. كما يتناول دور دولة قطر تجاه القضية وموقفها من العدوان الإسرائيلي على غزة 2008/2009، والحرب الإسرائيلية على القطاع عام 2014، وكذلك الحصار الذي تفرضه مصر وإسرائيل على القطاع منذ عام 2006[16].

3 ـ مقرر الجغرافيا

يضم مقرر الجغرافيا لجميع مراحل التعليم العام في قطر جغرافيا الوطن العربي من حيث الموقع والمناخ والتوزيع السكاني والزراعة والمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية. وفي هذا السياق، سوف نتناول جغرافيا فلسطين كما وردت في مناهج التعليم العام في قطر.

في مجال الدول المنتجة للشمندر، الذي يُستخرج منه السكر، يذكر كتاب الجغرافيا للصف الثالث الثانوي، أن فلسطين تنتج 700 ألف طن في السهول الشمالية من فلسطين، كما تنتج 469 ألف طن من البرتقال وهو ما يعادل 11 بالمئة من إنتاج الوطن العربي. وتنتج فلسطين من الخضروات 30 ألف طن من البطاطا، و9.3 ألف طن من البصل، و76 ألف طن من الطماطم، كما تنتج 60 ألف طن من الزيوت من سفوح الضفة الغربية[17].

أما كتاب جغرافية الوطن العربي المقرر لطلبة الصف الثاني الإعدادي فيتضمن فصلًا كاملًا عن فلسطين يتناول الموقع الجغرافي وأهميته ومظاهر النشاط البشري (الزراعة، ورعي وتربية الحيوان، والتعدين، والصناعة، والتجارة). كما يورد أهم المدن الفلسطينية وعلى رأسها مدينة القدس[18].

---

(15) المصدر نفسه، ص 12.

(16) المصدر نفسه.

(17) وزارة التربية والتعليم، **إدارة المناهج، كتاب الجغرافيا، الصف الثالث الثانوي ـ أدبي، الفصل الدراسي الأول**، ط 7 (2001)، ص 133، 136، 138 و140.

(18) حكومة قطر، وزارة المعارف، **جغرافية الوطن العربي للصف الثاني الإعدادي** (بيروت: طباعة دار الإرشاد، 1967)، ص 134 ـ 142.

تضمن كتاب **الأطلس القطري الجغرافي التاريخي** للمرحلة الثانوية للعام الدراسي 1989/1990 جغرافية فلسطين منذ عام 1917 وحتى عام 1967 شارحًا المراحل التاريخية التي أدت إلى رسم تلك الخرائط غير المقبولة فلسطينيًا وعربيًا[19].

4 ـ مقرر العلوم الشرعية

تتصدر مقرر مادة العلوم الشرعية لطلاب الصف الحادي عشر، في الفصل الدراسي الثاني، مكانة فلسطين الدينية، فيُستهلُّ الفصل بقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[20].

ويتناول هذا المقرر أهمية فلسطين من الناحية الدينية؛ فيرد فيه: «تعد فلسطين أرض الرسل والأنبياء الذين حملوا راية التوحيد، فصلة أنبياء الله عليهم السلام بالمسجد الأقصى وبيت المقدس بفلسطين صلة وثيقة، ومعظم الأنبياء استقرّوا بها أو أُمروا بالهجرة اليها، فالأرض أرض الأنبياء وارض الرسالات السماوية منذ قديم الزمان»[21].

كما يرد فيه أيضًا: مدينة القدس كانت موطن دعوة نبي الله عيسى بن مريم ومنبر حواره مع الطغاة، وفي الإسلام كانت موئل الرسول محمد عليه السلام في مسراه ومعراجه. كانت الركعة الأولى في الإسلام نحو بيت المقدس، وبقيت قبلة المسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة المنورة ستة عشر شهرًا، حتى نزل القرآن الكريم يأمر المسلمين بالتوجه في صلاتهم إلى الكعبة في مكة. فرحلة الإسراء ربطت ربطًا عقائديًا لا انفصام له بين مكة حيث المسجد الحرام وبيت المقدس حيث المسجد الأقصى[22].

5 ـ القضية الفلسطينية في مرحلة التعليم الجامعي

لم تكن القضية الفلسطينية في مرحلة التعليم الجامعي في قطر أقل اهتمامًا من مؤسسات التعليم العام؛ فجامعة قطر الحكومية تدّرس مقررًا مستقلًا تحت مسمى «الصراع العربي ـ الإسرائيلي» في مادة تاريخ الشرق الأوسط الحديث والمعاصر ضمن برامج كلية الآداب والعلوم، وكذلك في مركز دراسات الخليج للدراسات العليا. ويتناول هذا الموضوع تاريخ الحركة الصهيونية وتطلعاتها نحو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين إلى أن تم إعلان قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من أيار/مايو 1948.

كما يتناول مقاومة الشعب الفلسطيني في ثلاثينيات القرن الماضي ضد سياسة بريطانيا التي عملت على تسهيل هجرة اليهود من أوروبا إلى فلسطين، وقيام منظمة التحرير الفلسطينية

---

(19) وزارة التربية والتعليم، إدارة المناهج، **الأطلس القطري الجغرافي التاريخي** (الدوحة: مطابع علي بن علي، 1989 ـ 1990)، ص 234 ـ 236.

(20) **القرآن الكريم**، «سورة الإسراء،» الآية 1.

(21) دولة قطر، وزارة التربية والتعليم العالي، **التربية الاسلامية، الصف الحادي عشر، الفصل الدراسي الثاني**، ط 2 (2018)، ص 77.

(22) المصدر نفسه، ص 14.

وحسبانها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وتطلعاته نحو العودة إلى أراضيهم وبناء دولتهم المستقلة على التراب الفلسطيني، وما يقابلها من صعوبات على مستوى الداخل الفلسطيني والخارج عربيًا ودوليًا.

يتضمن هذا المقرر الدراسي أيضًا زيارة الرئيس المصري أنور السادات إلى إسرائيل في عام 1977 التي تعَدّ أول زيارة لزعيم عربي إلى الكيان الإسرائيلي منذ تأسيسه، وتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل في عام 1979، وقد أحدثت تلك الزيارة ومعاهدة الصلح مع إسرائيل انهيارًا عربيًا تمثل بانتهاء صلاحية اتفاقية الدفاع العربي المشترك، ونقل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس في 1979 احتجاجًا على ما قام به السادات، ثم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية، ثم عودتها إلى الجامعة في عام 1989. ويتناول المقرر أيضًا اتفاق أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية عام 1993. باختصار، يعدّ مقرر الصراع العربي ـ الإسرائيلي جامعًا شاملًا لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية وصراعها مع الكيان الإسرائيلي، كما يتناول دول الجوار مصر وسورية والأردن ولبنان في هذا السياق.

لم تكن القضية الفلسطينية في مرحلة التعليم الجامعي في قطر أقل اهتمامًا من مؤسسات التعليم العام؛ فجامعة قطر الحكومية تدرّس مقررًا مستقلًا تحت مسمى «الصراع العربي ـ الإسرائيلي» في مادة تاريخ الشرق الأوسط الحديث والمعاصر.

وفي معراج نصرة القضية الفلسطينية وإلهام معركة «طوفان الأقصى»، أصدرت وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي في تشرين الأول/أكتوبر 2023 تعليمات للمدارس الخاصة ورياض الأطفال جاء فيه «نوكد على ضمان توفير البيئة الآمنة لطلابنا، لممارسة حقهم الطبيعي في التعبير السلمي تجاه قضاياهم المصيرية، ومنها دعم القضية الفلسطينية العادلة، والمطالبة بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني»[23].

والحق أن جامعة قطر الحكومية سبقت الجامعات الأمريكية في حراكها لنصرة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني والمطالبة بوقف الحرب على غزة، التي انطلقت من جامعة كولومبيا في نيويورك في 17 نيسان/أبريل 2024. ولما كانت ثقافة التظاهرات والمسيرات الجماهيرية تكاد تكون منعدمة في دولة قطر، فإن طلاب وأساتذة جامعة قطر والإداريين نظّموا مهرجانًا ثقافيًا ليومين متتابعين 21 ـ 22 كانون الثاني/يناير 2024 تضمن شرح المسألة الفلسطينية من نشأتها منذ مطلع القرن الماضي، وكذلك الصراع على الهيمنة على فلسطين منذ الحروب الصليبية، ثمّ الهيمنة الصهيونية على أجزاء من فلسطين عام 1948، وأخيرًا الهيمنة الكاملة عليها في عام 1967، فضلًا عما تبع ذلك من اتفاقيات بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وأشهرها اتفاق إعلان المبادئ حول الحكم الذاتي في غزة وأريحا أو ما يعرف باتفاق أوسلو لعام 1993، ثمّ

(23) «التعليم تؤكد حق طلاب المدارس الخاصة في التعبير السلمي عن القضية الفلسطينية العادلة،» **الشرق** (الدوحة)، 15/10/2023، <https://tinyurl.com/bsyck5zk>.

ما لحقه من اتفاقيات تنكرت لها إسرائيل. كما جُمع التبرعات المالية لنصرة أهل قطاع غزة الذين يتعرضون لعدوان إسرائيلي مسلح وحصار شامل منذ عام 2005.

خاتمة

بعد القيام بمسحٍ عام لمدى وجود موضوع القضية الفلسطينية في مناهج التعليم العام في قطر، يتضح من هذا البحثً أن القضية الفلسطينية وجهاد الشعب الفلسطيني لم تغب عن اهتمام مؤسسات التعليم العام في قطر منذ نشأتها الأولى. ومع ذلك، فإن مناهج التعليم المدرسي في الآونة التي تولت فيها مؤسسة راند التعليم (وبخاصة سنوات 2002 ـ 2007) قد غابت عنها القضية الفلسطينية، كما يتضح ذلك من سير العملية التعليمية. ولكن سرعان ما تنبّهت القيادة السياسية إلى ذلك الخلل وأصدرت توجيهًا بعودة المقررات الدراسية في التعليم العام على أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم في كل مراحل التعليم في قطر. ويمكن الملاحظة من عرضنا السابق للكتب المدرسية الجديدة عودة المسألة الفلسطينية في كل مراحل التعليم، وفي كل الكتب المقررة على طلاب المراحل الثلاث (الابتدائي، والإعدادي، والثانوي) التي طبعت بعد عام 2007، وهو العام الذي بدأ منحنى تأثير مؤسسة راند يضعف، وصولًا إلى انتهاء عملها نهائيًا عام 2011، وبذلك أسدل الستار على تلك المرحلة.

وما يمكن ملاحظته في المناهج المدرسية الجديدة في دولة قطر أنها ركزت على ربط القضية الفلسطينية بالعرب والمسلمين من خلال موضوعات محدّدة ومتنوعة؛ مثل مادة اللغة العربية التي تتناول سياسيًا ووجدانيًا، مسؤولية العرب تجاه فلسطين، وبخاصة عبر انتقاء قصائد مهمة ومؤثرة. أما مادة العلوم الاجتماعية فقد ركّزت على معاناة الشعب الفلسطيني نتيجة اغتصاب أرضه على يدي الكيان الصهيوني، وحددت مسؤولية بريطانيا التاريخية في هذه المعاناة عبر التركيز على «وعد بلفور»، وأكدت أن قضية الشعب الفلسطيني أصبحت قضية الأمتين العربية والإسلامية. كما ربطت مادة الجغرافيا فلسطين بالوطن العربي عبر وصفها مناخ فلسطين وتوزيع السكان والزراعة والمحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية لإظهارها جزءًا من المنطقة الطبيعية للعرب. ولعل مقرر العلوم الشرعية قد أظهر بجلاء الرابط العقائدي الديني المتوارث بين المسلمين وبيت المقدس عبر تركيزه على مكانة القدس ورحلة الإسراء والمعراج التي ربطت بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام في مكة، وأن مدينة القدس كانت أول قبلة في الإسلام كما هي مكة المكرمة اليوم كقبلة للناس.

أخيرًا، لم تكتفِ دولة قطر بإعادة التركيز على قضية فلسطين في المناهج المدرسية فحسب، بل امتد ذلك أيضًا إلى مناهج التعليم الجامعي الذي تضمّن مقررًا مهمًا حول «الصراع العربي ـ الإسرائيلي»؛ وهي مادة تشرح تطور القضية الفلسطينية في التاريخين الحديث والمعاصر، وتربطها بسياقها العربي □